

## المرأة وحضورها الصوفي في الغرب الاسلامي

### - عائشة المنوبية أنموذجا -

أ. كينه ميلوده

kina-milouda@univ-eloued.dz

أ. بن عمارة أسماء

Benamara-asma@univ-eloued.dz

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي -

ملخص :

نشأ التصوف في المغرب مبنياً على الزهد والتقشّف والتّسكّ وحمل النفس على المجاهدة في الطاعة والوقوف مع ظاهر الشرع؛ دون تغلغل في علوم المكاشفات والحقائق، أما عن النساء الصّوفيات فقد ظهرن بعدد وافر في بلاد افريقية والمغرب وانتشرن في كامل الأرجاء: المدن والبوادي ففي سياق ذكر سير الاولياء و الصّالحين من الرّجال وتدوين مناقبهم؛ نذكر منهم عائشة المنوبية، التي تصفها مناقبها على انها من "اهل التصريف في الكون"، وهي صفة من صفات الولاية وكذلك بانها من اهل الغيب والبيان" كما تنسب اليها تعريفها بنفسها على انها من اهل الاحوال.

### Résumé:

Le soufisme est originaire du Maroc basé sur l'ascétisme, l'ascèse et l'ascétisme Et porter l'âme à lutter dans l'obéissance et se tenir avec la Shara apparente; Sans pénétrer la science des détecteurs et des faits Quant aux femmes des soufis sont apparues dans une multitude de pays d'Afrique et du Maroc et se sont répandues partout: les villes et la vallée Dans le contexte des hommes Saralaolia et des hommes justes et la codification des Mnaqubhm, leur rappeler Aïcha Almnobih, décrit par Mnaqubha comme « gens du drain dans l'univers », qui est caractéristique de l'état ainsi que du peuple de l'invisible et la mention « comme attribué à elle se définit comme du peuple Conditions.

## Summary :

Sufism originated in Morocco based on asceticism, asceticism and asceticism and carried the soul to struggle in obedience and stand with the apparent Shara without penetrating the science of detectors and facts. have appeared in a multitude of countries in Africa and Morocco and have spread everywhere: cities and the valley In the context of Saralaolia men and righteous men and the codification of the Mnaqubhm, remind them of Aicha Almnobih, described by Mnaqubha as "people of the drain in the universe ", which is characteristic of the state as well as the people of the invisible and the mention" as attributed to it is defined as the people

كانت بدايات التصوف المغربي بسيطة متواضعة مثلها مثل بدايات التصوف في المشرق متمثلة في الممارسات الزهدية التي كان يحييها التّسكّ والمتعبّدون، لكنّ سرعا نما اكتسح النّسيج المغربي بمركبيه القروي والحضري وأخذ يتسلّل إلى أوساط المثقّفين وخاصّتهم وأصبح قوّة اجتماعيّة وسياسيّة فاعلة بل استطاع المتصوّفة في المغرب - لأسباب متعددة - أن يفرضوا وجودهم منذ نهاية القرن السّادس للهجرة/الثّاني عشرة للميلادي، وأصبح ثقلهم الاجتماعي والسياسي أمرا يستوقف الباحث .

سنحاول هنا تسليط الضّوء على قطب من الأقطاب المتصوّفة في المغرب الاسلامي في هذه الفترة نقصد عائشة المنوّبية، ومن هنا يكون الاشكال العام:

ما طبيعة تصوف عائشة المنوبية وكيف كان حضورها الصوفي؟

## المبحث الاول: التصوف في الغرب الاسلامي

### 1- تعريف التصوف:

1- لغة: يذكر الطّوسي (ت988هـ/1580م) في كتابه الذي يعدّ مرجعا صوفيّا قال: " كان في الأصل صفوي فاستقلّ ذلك. فقيل: صوفي"<sup>1</sup>، ويذكر ابن خلدون (ت808هـ/1406م) أن أصل الكلمة من الصوف فيقال تصوّف أي لبس الصوف،

كما يقال: تَمَّصَّ إذا لبس القميص<sup>2</sup>، ومنهم من ربطها بالصَّفاء وذلك لكون المتصوِّفة بعيدين عن الدنيا ويظهرون أنفسهم من شهوتها وقال قوم: إنما سموا صوفيَّة لأهم في الصِّفِّ الأوَّل بين يدي الله عزَّ وجلَّ بارتفاع همَّهم إليه والإقبال عليه ووقوفهم بين يديه<sup>3</sup>.

## ب- اصطلاحا:

عرّفه المؤرخ ابن خلدون(ت808هـ/1406م): " أصلها العكوف عن العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزَّهد فيها وما يقبل عليه الجمهور من لذَّة ومال وجاه والانفراد عن الخلق وفي خلوة للعبادة وكان ذلك عامًا في الصحابة والسلف"<sup>4</sup>، أما عن أهم تعريفات الصوفية نجدها عند الجنيد(ت298هـ/909م)<sup>5</sup>: " أنَّ التَّصوِّفَ تصفية القلب عن مواقفه البرية، مفارقة الأخلاق الطبيعيَّة وإخمد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانيَّة ومنازلة الصفات الروحانية والتعلُّق بالعلوم الحقيقيَّة واستعمال ما هو أولى عن الأبدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة وإتباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -"<sup>6</sup>، ويقول الحسن النوري (295هـ/908م) " التَّصوِّفُ هو ترك حفظ النفس"<sup>7</sup>.

فيمكن القول أن التصوف عبارة عن شخصية وليدة تجارب ذاتية، ومن ثمَّ تختلف من صوفيٍّ لآخر، وقد تمَّ تصنيف تعريفات التَّصوِّف إلى ثلاث مجالات: مجال يربط التَّصوِّف بالسلوك أو بالأخلاق، ومجال يربطه بالتُّسك وصور العبادات، والمجال الثالث يربط التَّصوِّف بالمعرفة والمشاهدة<sup>8</sup>.

ذكر ذوالنون المصري(ت245هـ/859م)<sup>9</sup> علامة الصوفي ثلاث: لا يطفئ نور معرفته نور روعه، ولا يعتقد باطنا من العلم ينقد عليه ظاهرا من الحكم، ولا يحمله كثرة نعم الله تعالى عليه وكرامته على هتك أستار محارم الله تعالى<sup>10</sup>، وقد حاول ابن سينا (ت429هـ/1037م)<sup>11</sup> أثناء تعريفه للصوفي أن يفرِّق بين الزاهد والعابد والعارف (الصوفي) فقال: أن الزاهد هو المعرض عن متاع الدنيا وطبائرها والعابد هو المواظب على القيام بالعبادات من صلاة وصيام وقيام وغيرها، أمَّا العارف فهو ذلك الإنسان المنصرف

بفكره إلى الله مستديما لشروق نور الحق في سرّه<sup>12</sup> ، والنتيجة التي توصل إليها ابن سينا هو اجتماع الزاهد والعبادة في التصوف، وليس وجود التصوّف في الزهد أو العبادة وحدهما، فكل صوفيّ زاهد وعابد وليس كل زاهد أو عابد صوفيّ<sup>13</sup> .

## 2- دخول وانتشار التصوف في الغرب الاسلامي:

انطلاقا من المائة الثانية للهجرة /الثامن ميلادي إلى المائة السابعة للهجرة /ثلاث عشر ميلادي تطوّر التصوف إلى علم ونظام شديد في العبادة وصار اتجاها نفسياً، عقلياً، سلوكياً، عملا وعبادة، ويعدّ بوجه عام فلسفة حياة وطريقة معينة في السلوكيات يتخذها المتصوّف لتحقيق كماله الأخلاقي عرفانا بالحقيقة وسعاداته الروحية<sup>14</sup> ، وما إن أقبل القرن الثالث هجري حتى كانت السّمة الغالبة التي تميّز سلوك العبادة قد دخلت طورا جديدا بدأ الزهد فيه يتطوّر إلى تصوف بعد أن كان الزهاد يكتفون بالسلوك العملي<sup>15</sup>

وعلى الرّغم من ظهور التصوف في القرن الثاني هجري وانتشاره في المشرق لكن المجتمع المغربي كان بمعزل عنه ولم يعرفه أهله حتى أوائل القرن الخامس هجري أو قبله بقليل وذلك في عهد المرابطين، وقد نشأ في المغرب مبنياً على الزهد والتّقشّف والتّسكّ وحمل النفس على المجاهدة في الطاعة والوقوف مع ظاهر الشرع دون تغلغل في علوم المكاشفات والحقائق، لذلك لم يحتدم صراع في المغرب بينهم وبين الفقهاء<sup>16</sup> ، ومنهم من أرجع ظهوره في المغرب في القرن الثاني والثالث هجري وبالتالي لم يتأخّر كثيرا عن مثيلتها في المشرق واعتبر مجرد استمرار لحركة ابن مسره(319هـ/931م)<sup>17</sup> التي ذاع صيتها في الأندلس منذ منتصف القرن الثالث هجري، وفيه من اعتبر ظهوره نتيجة للتّغيرات التي عرفها المجتمع المغربي بالانتقال من عيش بسيط بدويّ يغلب عليه الزهد في عهد عبد الله بن ياسين(ت451هـ/1059م) إلى حياة الدّعة والمجون في عهد علي بن يوسف(500-537هـ/1106-1143م) أدى إلى تفاقم المشاكل وظهور الأزمات وهذا السبب الأخير كان محطّ اهتمام الباحثين الأوروبيين فقد اعتبر لوينيا أنّ ظاهرة التصوف

جاءت كردّ فعل ضدّ الفشل التي منيت به ثورات الخوارج بينما عزا الفريديبل Abel ذلك إلى العقلية المغربية المجبولة على الاعتناء بشائبة قوى الخير والشر<sup>18</sup>.

رجع صعوبة تحديد بداية قاطعة لظهور التصوف في بلاد المغرب إلى عدة عوامل منها إختلاط المتصوفة بالزهاد إختلاطا شديدا أثناء ظهوره وبداية انتشاره، واستمرار تواجد الزهاد بعد ذلك، وتشابه أنشطة الزهاد والمتصوفة الأوائل ولا سيما أنّ المغاربة كانوا يستخدمون مسميات واحدة للدلالة على كل من الزاهد والمتصوف كالعباد والصالح ويسبغون الولاية<sup>19</sup>.

اما عن انواع التصوف في الغرب الاسلامي يمكن ايجازها في النقاط التالية:

1- **التصوف السني** : يتميز هذا التيار ببساطته وبعده عن الخوض في القضايا الفلسفية كالقول بوحدة الوجود أو الحلول والبعد عن التعقيدات ويمكن تصنيفه الى ثلاث اتجاهات .

2- **التصوف السني الفلسفي**: مثل العصر المرابطي نقلة هامة من التصوف الساذج إلى التصوف الفلسفي الذي عرف ذروته على يد ابن عربي في فترة لاحقة لا يمكن أن نسميه تصوف فلسفي بالمعنى بسبب محاربة الفقهاء ومقاومتهم للفكر الفلسفي لكن مع هذا بدا التصوف يتأثر بالتراث اليوناني كفلسفة أفلاطون وأرسطو<sup>20</sup>.

يمكن أن نرجع انتشار التصوف في الغرب الاسلامي إلى عدّة عوامل دينية، سياسية، اجتماعية و اقتصادية وتفاعل هذه الأسباب أدى إلى انتشار واسع للتصوف في المنطقة<sup>21</sup>.

## المبحث الثاني: المرأة في الغرب الاسلامي

لعبت المرأة المغربية ادوارا بارزة في مختلف مراحل تاريخ المغرب الاسلامي وان لم يكن دورها ناصعا كمثيلتها في المشرق نظرا لقلّة الدراسات في شأنها الا انه لم يكن باهتا

فنبغت العاملات والفتيات والشواعر، كما أظهرت المرأة المغربية براعة إدارية ولباقة وحكمة، أصبحت بعض النساء مستشارات لأزواجهن الأمراء والرؤساء، وقد استطاعت في بعض الظروف الدقيقة أن تدبر ما لا يستطيع تدبيره الرجل منفردا أو مجتمعاً

## 1- مكانة المرأة ونشاطها في الغرب الاسلامي:

نشاط المرأة المغربية ومساهماتها السياسية والفكرية والحضارية عامة، ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالدعوات الدينية والسياسية، فهذه الاخيرة وجدت ارضية خصبة لنشاطها في المغرب الاسلامي وبما أنّ المرأة لا يمكنها الخروج عن عادات وتقاليد وأعراف قبيلتها أصبحت بالتالي صورة الذهنية السائدة، فكانت معظم النساء سنيات والبعض منهن من الشيعة ومن الخوارج<sup>22</sup>، نذكر نساء المذهب الإباضي اللاتي اشتهرن بالعلم والتفقه في الدين ومن هؤلاء "ام يحيى" التي وليت أمر جبل نفوسة عند اشتغال الرجال في قتال بني الأغلب في موقعة مانو سنة(269هـ/881م) منها الاخت الامام افلح في علم حساب والتنجيم حتى فاقت الامام نفسه في ذلك<sup>23</sup>.

ومن أروع الامثلة على اسهام المرأة في دولة الادارسة، هو بناء جامع القروين بفاس أيام يحيى بن محمد بن الادريسي، وقامت بتحقيق هذا المشروع امرأة تعرف " بام البنين" فاطمة بنت محمد الفهري" في سنة(245هـ/859م) التي ورثت مالا كثيرا عن أبيها ووضعتة في الصالح العام. أما اختها مريم فقد بنت المسجد الجامع بعدوة الأندلسيين<sup>24</sup>.

اما في الاندلس فقد تمتعت المرأة بقسط وفير من الحرية والنفوذ وكان نصيبها من العلم والمعرفة أكثر من نصيب أختيها في المشرق والمغرب وبالتالي اتسع مجال إسهاماتها وشمل كل أنواع والوان الفنون منذ الخلافة الاموية<sup>25</sup>.

## 2- قيمة العمل النسائي وموقوفاته في الغرب الاسلامي:

العمل عند المرأة من الجهاد، فهو جهاد النفس وجهاد الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة؛ فهو يعينها و ينأى بها عن الاحتياج والعوز ويقضي على فراغها التي يمكن أن يوقعها في الزلات، لذا فدوافع العمل عند المرأة هي اثبات الذات؛ وتحقيق الكسب المادي المقترن بحرفة اذا كانت الحاجة ملحة (كفقد الزوج او فقد الولي) او لتكريس أوقات الفراغ في شئ مفيد<sup>26</sup>.

لكن العمل النسائي في المجتمعات الاسلامية عموما وفي المغرب والاندلس خاصة نجده قد اصطدم ببعض المعوقات كخروج المرأة فقد نصت كتب الفقه والحسبة على ألا تخرج المرأة وان خرجت مضطرة فيجب عليها الالتزام بالملبس والتصرف الحسن البعيد عن اي شبهة، وكذلك هناك اسباب اخرى كارتباط العمل بالهرم الاجتماعي والحالة السياسية والتعليم<sup>27</sup>.

### 3- المتصوفات في المغرب الاسلامي:

وان لم تهتم مصادر التاريخ وكتب المناقب وتراجم الاولياء بالتعريف بالنساء الصالحات المتعبدات وافراد تراجم خاصة بمن الآ نادرا، فإنّ النساء الصّوفيات ظهرن بعدد وافر في بلاد افريقية والمغرب وانتشرن في كامل الأرجاء: المدن والبوادي ففي سياق ذكر سير الاولياء و الصّالحين من الرجال وتدوين مناقبهم، ترد احيانا اخبار هامة و اشارات دالة الى سير النساء الصّالحات، من ذلك مثلا ما ذكر بشأن استونة ام محمد بن الحسين المعروف بابن رضوان ضمن "مناقب محرز بن خلف"<sup>28</sup>.

وفي بلاد المغرب ظهرت نساء صالحات ذات شأن مثل مؤمنة التلمسانية بفاس<sup>29</sup> التي قال عنها ابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ/1408م) "إنّما كانت على زهد وتقشف وعبادة وورع، وكان قوتها في العام من غزل يديها" ويبدو أنّها ذات منزلة عالية لقوله عنها "وتبركت بها ومازلت على ما تقرّر عندي، تخصّني بالدعاء في ظهر الغيب"<sup>30</sup>.

#### 4- الأنثى في الخطاب الصوفي

بداية يجب أن ننتبه إلى نقطة غاية في الأهمية، وهي أنّ صورة المرأة في التصوّف الفلسفي تختلف عن مثلتها في التصوّف الأخلاقي؛ فإذا كان بعض الباحثين قد نظروا إلى كون التصوّف قد تعامل مع صورة المرأة بإيجابية وأعلى من شأن الأنوثة وقيمتها، فإنّ تلك الصورة لا تنسحب على مجمل التيار الصوفي الذي ظلّ في معظمه وفيّاً للرؤية الأخلاقية الفقهيّة فيما يخص النظرة للمرأة ودخولها عالم التصوّف<sup>31</sup>.

تبدو منزلة المرأة في المدوّنة الصّوفية من جهة الصورة التي بناها الخطاب الصوفي حولها، او من ناحية مشاركتها في بناء لبنات هذه التجربة، مسألة اشكالية يصعب سبر أغوارها.

لقد حضرت المرأة (الانوثة) أولاً: باعتبارها موضوعاً استأثرت باهتمام واسع، وكانت الكتابة في ذلك ذات مناح رمزية ومجازية، مقاصدها انطولوجية معرفية، هدفها تصوير حقيقة الوجود والالوهية على نحو من الاستعارة، لكون اللغة المتدواله، لا يمكن أن تقول دقائق المعرفة الصوفية او تصوّر مايشهده الصوفي العارف من تجليات بخصوص حقائق عالم الألوهية واسرارها

تعد المرأة في حقل الكتابة الصوفية المتفلسفة مبدأ الحياة الإنسانية كلّها، وجعل ابن عربي العلاقة بالمرأة تجديداً للعلاقة مع الألوهية والطبيعة، فيقول في هذا المعنى: "فشهود الحقّ في النساء أعظم الشهود وأكلمه وأعظم الوصلة النكاح وهو نظير التوجّه الإلهي على من خلقه على صورته ليخلفه فيرى فيه نفسه ... ويضيف فهنّ (أي النساء له) (للرجل) كالطبيعة للحقّ التي فتح فيها صور العالم بالتوجّه الإرادي والأمر

الإلهي الذي هو نكاح في عالم الصور العنصرية فمن أحبّ النساء على هذا الحد فهو حب إله

وفي دراسة نزاها براضة عن « الأنوثة في فكر ابن عربي » ، استخلصت أنّ ابن عربي يكسّر تلك التصوّرات الفقهيّة والفلسفية التي تربط بين الأنوثة والذكورة واختلاف الجنس

الطبيعي بين الأنثى والذكر، إذ يعتبر أنّ الذكورة والأنوثة الطبيعيتين مجرد عرضين بالنسبة إلى الإنسان، ولا يحقّ النظر إليهما كمعيارين للانتماء

إلى الإنسانية أو الانحراف عنها (2) (وبناءً عليه يرى في الفعل الجنسي الدرجة القصوى لذوبان عنصري، الأنوثة والذكورة بعضهما في بعض، أي عودتهما إلى الحالة الأصلية الأولى، وبذلك يتحقق الكمال المطلق، حيث يتوحد في هذه الحالة المبدأ الفاعل (الذكورة) والمبدأ المنفعل (الأنوثة)، وعليه ينظر إلى الفعل الجنسي باعتباره فعلاً من أفعال العبادة، بل وأشرف حالات العبادة<sup>32</sup>

إنّ الناظر في مدونة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي (ت638هـ/1240م) يجد المعالم البارزة لنسقه الصوفي قد تأسست استناداً إلى تجربته الروحية العميقة وهو الذي توسّع في صياغة مفهوم الانوثة من حيث هو بعد محوري من ابعاد الوجود والمعرفة من ناحية، والانسان من والالوهية من ناحية اخرى، يرى ابن عربي أن اسم آدم يعني المرأة والرجل ضرورة، أي أنّه مرآة للأسماء الالهية: اسماء الصفات في كليتها، وهو جامع لأسماء الجلال والجمال الالهي. ويستند ابن عربي في بيان هذا المعنى الى الحديثي النبوي القائل: "ان الله خلق ادم على صورته"<sup>33</sup>، وفي ضوء هذا المعنى يفهم قوله تعالى: "اني جاعل في الارض خليفة"<sup>34</sup>.

ولما كان الخطاب الصوفي للشيخ الأكبر تأسيس على اعتبار الانثى مظهرها اسمي للجمال الإلهي ، وعبر ذلك يمكن تمليّ مظاهر الجمال المطلق والنفوذ الى الادراك عالم الالوهية. فانه حتما قد جعل حبّ المرأة يتجاوز كونه فعلاً للمتعة الحسيّة الخالصة، ليستحيل رغبة في المعنى تساعد العارف على تعميق تجربته الصّوفية من خلال تواصله مع الاخر l'autre الذي يؤسس للمغايرة من جهة، ويقوّي لديه الاحساس بالانفصام من جهة ثانية، فالمرأة هي الصورة التّموجية التي يتحقّق فيها الارتباط بين الالوهية والطبيعة بين المتعة والعبادة..... بين ايروتيكية الجسد و ايروتيكية المقدّس<sup>35</sup> ،

وهكذا استناداً الى تصور الشيخ الأكبر لمكانة المرأة في النسق الصوفي، والاعتراف بإمكان بلوغها أعلى منازلها والتحقق بأسمى مراتبه، امكن أن نقرأ تجربة الوليّة الصالحة السيّدة عائشة المنويّة، دون أن نسقط من الاعتبار دراسة حيثيات السياق الاجتماعي والتّقافي والديني لهذه التجربة المتفردة في مجال التّصوف والعرفان<sup>36</sup>.

## المبحث الثالث: عائشة المنويّة كنموذج للمرأة الصوفية

### 1- نشأتها:

عائشة المنويّة صالحة، متعبدة، كانت حسنة الخلق، لها جمال وحسن فائق واذا نظر اليها الناظرون يفتنون، تنص مناقبها على أنّها "عائشة بنت الشيخ عمران بن الحاج سليمان المنوي وأمها فاطمة بنت عبد السميع المنوي"، كانت وفاتها يوم الجمعة الحادي والعشرون من رجب سنة (665هـ/1267م) عن سن تناهز ستة وسبعين سنة، وهو ما يعني أنّها ولدت سنة (589هـ/1193م)، وكان مولدها بقرية منوبة غربي مدينة تونس<sup>37</sup>.

### 2. تصوف عائشة المنوية وجدليته:

تصفها مناقبها على أنّها من "اهل التصريف في الكون" وهي صفة من صفات الولاية<sup>38</sup> وكذلك بانّها من اهل الغيب والبيان" كما تنسب اليها تعريفها بنفسها على أنّها من اهل الاحوال وتميز تصوفها با

التيار الملامتي: يمكن اعتبار السيدة عائشة المنوية (ت 1267/665م) من المنتمين الى هذا التيار وهي التي اشتهرت بـ "التخريب" و "خرق العبادات"<sup>39</sup> و "كتم العبادات" وهي من التجارب الملامتية المبكرة بافريقية<sup>40</sup>.

وردت في مناقب عائشة المنوية عبارة اهل تخريب الظواهر والتخريب المصطلح الاساسي المستعمل في قضية ابن عروس بل في شرح مذهب القوم، الم يعب اهل العلم على المنوية مخالطتها للرجال تماما كما عيب على ابن المفاخرة وهي من باب

الشطحات، قولها عن نفسها: انا سكرانه مرتين في جملة واحدة الخلق، كما تنسب مناقبها الى بعضهم قوله: "انظر يا اخي الى هذه الاحوال." والى الخليفة قوله جوجو واحمد عسيلة بانهم من اهل الحال" كما قيل عنها ظاهرها جنون وباطنها ... فنون . كل ذلك لاسيما حملة الانتقاد والاعتراض التي تعرضت لها المنوبية<sup>41</sup>

### التيار الشاذلي:

تفرد مناقب المنوبية دون غيرها من المصادر الاخرى بإعلان انتساب الولية الى التيار الشاذلي في التصوف لقولها " انا شاذلية وقطبة أقراني " وهي وان كانت معاصرة لابي الحسن الشاذلي (ت656هـ / 1257م) فان المصادر المنقبية المتصلة بالفترة لا تنص عليها في عداد أصحابه، وبالتالي فالمسألة بحاجة الى اثبات لاسيما أن مناقبها تعلن تتلمذ لكل من رابعة العدوية (ت561هـ/801م) والجنيد(ت287هـ/909م)، وعبد القادر الجيلاني(ت561هـ/1165م) وعمر بن الفارض(ت632هـ / 1234م) فضلا عن أبي الحسن الشاذلي الذي أعطاها الطريقة، وقال لها: " أنا أوليتك طريقتي، واعطاها علمة وبصره، ما يمكن أن يحصل على أساس أنه انتماء روحي وارادة انتساب أكثر مما يمكن أن يحمل على أنه ارتباط تاريخي الامر الذي يدعم أكثر متى وقفنا على هوية محرر مناقبها المحتمل وهو مثلنا تعلن عنه نسبته داخل سلسلة الشاذلي الولائية ومن ثمة فلا بدعة أن يحشد في المدرسة الشاذلية للتصوف " اعلام والاولياء وقادة الاتقياء" فما بالك بأنموذج ولائي من طراز الولية عائشة المنوبية كما يمكن ان يحمل على اساس أنه بحث من نفسها أو على الاقل اضعاف نوع من مشروعيتها خاصة أنه كانت في أشد الحاجة إليها أمام تنامي موجة الانتقاد لسلوكاتها والاعتراض على ولايتها، وأنكر بعض العلماء مبيتها مع الرجال، ثم "تخاطب الرجال ويخاطبونها وليس لها زوج" وهذا مالا تستسقيه القيم الذكورية في تلك الفترة، واعتبرت مجنونة ومن ثم فقد رفع عنها القلم؛ فوصفها الفقيه أبو عبد الله محمد الأروى إمام جامع الصفصافة بأنها " امرأة ظاهرها جنون وباطنها فنون" وظاهر ان سلوك عائشة المنوبية جعل ولايتها موضع جدل واسع.<sup>42</sup>

وقد قالت السيدة المنوبية عن نفسها: " انا شاذلية وقطبة اقراني"<sup>43</sup>... بالنسبة للمنوبية تبدو لنا مسألة تتلمذها على الشاذلي التي انفردت مناقبها بذكرها دون غيرها من المصادر مدعاة للشك وحيث لم يذكرها التقليد الشاذلي بإفريقية في عدد اصحابه ولا ذكرها ابن الصباغ صاحب **درة الاسرار** والمترجم لابي الجيلاني والجنيد وراعبة العدوية وابن الفارض ان هذا لا ينفي ان تكون ربما صاحبت او عرفت عدد من اصحاب الشيخ ممن بقوا بمدينة تونس.<sup>44</sup>

**ج- كرامات السيّد:** دائما مع السيدة المنوبية والان سنعرج الحديث عن كرامات التي تمتعت بها وظهرت عليها حسب المصادر التي نقلت لنا أخبارها :

وقد شهدت السيدة المنوبية احوالا كثيرة في ذلك جعلت قراءة تجربتنا قراءة موضوعية ونسقية امرا مستعصيا فتناولها كلّ بحسب منطلقه المنهجي ووجهة نظره .

#### ١- التنقل في الفم:

فمن اقدم الحالات المسجلة بإفريقية ما ورد في مناقب السيدة المنوبية (ت 665هـ/1267م) الحالة الاولى في النوم في باب الكرامات المنسوبة الى الولية بعد موتها والحالة الثانية في الصحو في حياة الولية وفي الحالتين يبدو البعد المساري واضحا:

- فأرأها في النوم فبصقت في فيه فروقه الله تعالى العلم من غير قراءة وفتح الله عليه بعلم الظاهر والباطن" ..... ثم قالت له افتح فاك فتفلت فيه تفلة فولله من حينه مزق ثيابه وخرج هائما في البراري والقفار.... قال فخرجت هائما بمكاشفاتهما"

وقد وقفنا على عنصر التوبة ايضا عند السيدة المنوبية في الحالة الاولى: " امش زور قبر سيدتي عائشة المنوبية لعل الله يتوب عليك"

ب- السقاية: وقفنا على ثلاث حالات من السقاية منسوبة الى عائشة المنوية(ت 665هـ/1267م) وتبدو بدورها تدرج ضمن النسق المساري للولية كجزء من مسارها الولائي . حيث تنسب اليها مناقبها قولها ضمن مفاخراتها: "...أتاني ميكائيل والخضر وفي ايديهما بوقال مملوء من الجنة وقالا لي اشربي ياعائشة يامنوية فشربت في تلك الشربة العلم والحلم واليقين والخشوع والتواضع والبركة والحنانة والعفة والصيانة" وفي موضع اخر "رايت الله ....وسقاني بيده"

يروى كاتب مناقبها على لسان إمام جامع الصفصافة محمد الأروي في وصف أحوالها هذه الوليّة، فيقول: "غرّ ظاهرها جنون وباطنها فنون، وقد رأيت لها خوارق وهي من أكابر أولياء الله" . وهنا تحضر الكرامات وتبرز مقدرة الوليّة في تحقيق ما يبدو محال التحقيق بالنسبة الى عامة البشر، وقد رويت الاخبار كثيرة، تصور لنا ما خصّها الله به من قدرات خارقة تقضي بها حاجات مرديها، وكلّ من لاذ او استغاث بها وهذا النص يقوم شاهدا على ذلك قالت المنوية ذات يوم للحداد: "يا عثمان تريد أن ن: صلي في مكة شرفها الله قال فاقمنا وطلعنا الجبل المعروف ب سيدي ماضي جبل التوبه وزرنا الشيخ بن عبد السلام وقالت لي اقرا يا عثمان فقلت لها ماذا اقرا قالت سورة ياسين و الفتح و الواقعة و تبارك الملك و ايه الكرسي و انا انزلناه في ليله القدر قال فقرأت ذلك ثم قالت اغمضو ابصاركم . ففعلنا واذ نحن في مكة و قائل يقول السلام عليك يا سيدي عائشه المنويه فقلت للرجل منهم من اين تعرفها؟ فقال كل ليله تصلي عندنا العشاء بمكة نعم فذك ممكن وفقا للمرجعية الصوفيه فالمنويه كالأبدال يمكن ان يوجد في نفس الوقت في مكانين، وذلك ما ورد تفصيله على نحو ادقّ ضمن أمهات الكتب الصوفية<sup>45</sup> .

ولعل اول ما يلفت الانتباه في سيرة وليتنا بظاهرة الكرامة احتفالا لافتا اذ تتوزع هذه السيرة مناقب السيدة في حياتها ومناقبها في مماتها ولكن ايضا مناقبها قبل أن تأتي الى هذا العالم فقد روي محرر مناقبه "انها كانت في بطن أمها وهي حامل بها فخرجت لبعض حوائجها واذا بأسد واقف في الطريق فخافت منه واذا بعائشة تكلمت في بطن

أمها وقالت لها لا تخافي يا اماه انت محفوظة بحفظ الله، وهذه عينة من ثمانين كرامة" جريت لها وهي في بطن امها"<sup>46</sup>.

وفي الاخير وبعد دراسة التصوف والمرأة في الغرب الاسلامي وعائشة المنوبية كنموذج للمرأة المغربية وحضورها الصوفي خرجنا بعدة نقاط أهمها:

- نشأ التصوف في المغرب مبنياً على الزهد والتقشّف والنسك وحمل النفس على المجاهدة في الطاعة والوقوف مع ظاهر الشرع؛ دون تغلغل في علوم المكاشفات والحقائق.

- أما عن النساء الصّوفيات فقد ظهرن بعدد وافر في بلاد افريقية والمغرب وانتشرن في كامل الأرجاء: المدن والبوادي ففي سياق ذكر سير الاولياء و الصّالحين من الرّجال وتدوين مناقبهم .

- عائشة المنوبية، التي تصفها مناقبها على انها من "اهل التصريف في الكون"، وهي صفة من صفات الولاية وكذلك بانها من اهل الغيب والبيان" كما تنسب اليها تعريفها بنفسها على انها من اهل الاحوال.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- 1 أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت988هـ/1580م)، اللمع، تح عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي السرور، ط1، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960م.
- 2 إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصدر، ط1، إدارة ترجمان، (د، ط)، 1406هـ/1986م.
- 3 شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت728هـ/1374م)
- 4 سير أعلام النبلاء، ج1، تح: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1407هـ/1996م، ص 565.

- 5 منال عبد المنعم، جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، (د،ط)، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1997م، ص116.
- 6 عباس محمود العقاد، الشيخ الرئيس ابن سينا، ط3، دارالمعارف، مصر، (د،س) صص1211. فيصل يديرعون، التصوف الإسلامي الطريق ورجال، (د،ط)، مكتبة سعيد رأفت، مصر، 1983م.
- 7 حسن جلاب، دولة المرابطين قضايا وظواهر، ط1، المطبعة والورقة الوطنية، المملكة المغربية، 1416هـ/ 1995م.
- 8 إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص ص 130-133.
- 9 الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين /12 و13 الميلاديين (نشأته تياراته تدوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، (د،ط)، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص47.
- 10 مليكة حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين ( 448هـ-541هـ/1056م-1146م) "مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي"، جامعة الجزائر، 1422هـ-1423هـ/2001م-2002م مل4 قفبلغاتي ص 49.
- 11 علي الجزناني، جنى الأس في بناء مدينة فاس تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط1411هـ/1998م، ص45.
- 12 نجلاء سامي النبراوي، المرأة العاملة بالمغرب والانندلس (ق 3-9هـ/9-15م)" دراسة تاريخية وثائقية"، ص 3.
- 13 ابن قنفذ القسنطيني، انس الفقير وعز الحقير، الرباط المغرب، المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965م، ص80-81.

<sup>14</sup> مراد جدّي، التديّن الصوفي | في طبعته النسوية ورهان النوع الاجتماعي: لالة ميمونة رمز الاصلاح الأثوي، مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية ، 16 نوفمبر 2016.. ص 4.

15 ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3.

<sup>1</sup> أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي(ت988ه/1580م)، اللمع، تح عبد الحلیم محمود، طه عبد الباقي السرور، ط1، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960م، ص45.

<sup>2</sup>ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط خليل شحادة، مراجع سهيل زكاره، (د، ط)، دار الفكر لطباعة والنشر، لبنان 1421هـ / 2000، ص397.

<sup>3</sup> إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصدر، ط1، إدارة ترجمان، (د، ط)، 1406هـ/1986م، ص ص20- 21.

<sup>4</sup>ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص397.

<sup>5</sup>الجنيدى: هو أبو القاسم الخراز القواريري بن جنيد بن محمد البغدادي، كان أبوه يبيع القوارير وهو خرزا أصله من نهى

وعاش في بغداد (ت 298هـ/909م). للمزيد ينظر: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي(ت728هـ/1374م)

،سير أعلام النبلاء، ج1، تح: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1407هـ/1996م، ص 565.

<sup>6</sup>إحسان إلهي ظهير، المرجع السابق، ص37.

<sup>7</sup>الطوسي، المصدر السابق، ص25.

<sup>8</sup> منال عبد المنعم، جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، (د، ط)، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1997م، ص116.

<sup>9</sup> **ذو النون:** هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم ذو النون لقب نوني الأصل من شيوخ الصوفية من الطبقة الأولى كان أوحد قومه علما وزاهدا وورعا وأدبا (ت 245هـ / 859م)، للمزيد ينظر: الذهبي، المصدر، السابق، ج1، ص443.

<sup>10</sup> الطوسي، المصدر السابق، ص37.

<sup>11</sup> **ابن سينا:** هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا عالم وطبيب مسلم من بخارى، ولد سنة 370/980م متوفي في مدينة همدان سنة 429هـ/1037م معروف باسم الشيخ الرئيس. للمزيد ينظر: عباس محمود العقاد، **الشيخ الرئيس ابن سينا**، ط3، دار المعارف، مصر، (د،س) صص 11-12.

<sup>12</sup> الطوسي، المصدر السابق، ص39.

<sup>13</sup> منال عبد المنعم، المرجع السابق، ص118.

<sup>14</sup> محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص5.

<sup>15</sup> فيصل بيدرعون، **التصوف الإسلامي الطريق ورجال**، (د،ط)، مكتبة سعيد رأفت، مصر، 1983م، ص19.

<sup>16</sup> منال عبد المنعم، المرجع السابق، ص125.

<sup>17</sup> **حركة مسره:** كان ابن مسره محمد بن عبد الله (931/319م) أول من برز بالأندلس من الصوفية الذين واجهوا التيار الفقهي في العهد الأموي بمفاهيم كانت تواكب في أبعادها الفكر الديني اتهم ابن مسره بالدعة إلى الاسماعلية الباطنية. للمزيد ينظر: عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص ص 5—8.

<sup>18</sup> حسن جلاب، **دولة المرابطين قضايا وظواهر**، ط1، المطبعة والورقة الوطنية، المملكة المغربية، 1416هـ/ 1995م، ص256.

<sup>19</sup> **الولاية:** تقاربت تعريفات الولاية عند الصوفية بمعنى الحفظ والعناية مع تحصيل الكرامات، وكان للكرامة النصيب الأكبر وعدها البعض أنها شرط من شروط صحة الولاية. للمزيد ينظر: البشير غانية، **الأولياء والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين (479—635/1086—1238م)**، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف محمد الأمين بالغيث، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، نوقشت 1436—1437هـ/2015—2016م، ص91.

<sup>20</sup> للمزيد ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص ص

130—133.

<sup>21</sup>الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 7 و6 الهجريين /12 و13 الميلاديين (نشأته، تياراته، تطوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، (د،ط)، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص47.

<sup>22</sup> مليكة حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين ( 448هـ-541هـ/1056م-1146م) "مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي"، جامعة الجزائر، 1422هـ-1423هـ/2001م-2002م، 4 قفيلغاتي ص 49.

<sup>23</sup> بوبه مجاني، ص ص 160-163.

<sup>24</sup> علي الجزائري، جنى الأس في بناء مدينة فاس تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط 1411هـ/1998م، ص45.

<sup>25</sup> مليكة حميدي، المرجع السابق، نص 54.

<sup>26</sup> نجلاء سامي النبراي، المرأة العاملة بالمغرب والاندلس (ق 3-9هـ/9-15م) "دراسة تاريخية وثائقية"، ص

3.

<sup>27</sup> نجلاء سامي النبراي، المرجع السابق، ص ص 3-4.

<sup>28</sup> او العباس احمد التادلي، المصدر السابق، ص 40.

<sup>29</sup> ابو العباس احمد التادلي، المصدر السابق، ص 41-42.

<sup>30</sup> ابن قنفذ القسنطيني، انس الفقير وعز الحقيير، الرباط المغرب، المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965م، ص80-81.

<sup>31</sup> مراد جدّي، التدين الصوفي في طبعته النسوية ورهان النوع الاجتماعي: لالة ميمونة رمز الاصلاح الأنثوي، مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 16 نوفمبر 2016.. ص 4.

<sup>32</sup> مراد جدّي، التدين الصوفي في طبعته النسوية ورهان النوع الاجتماعي: لالة ميمونة رمز الاصلاح الأنثوي، مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 16 نوفمبر 2016.. ص ص 4-5.

<sup>33</sup> ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص 314.

<sup>34</sup> سورة البقرة الآية30.

<sup>35</sup> عبد الحق، الكتابة والتجربة الصوفية، ص445.

<sup>36</sup> ابو العباس، المصدر السابق، ص 68.

<sup>37</sup> ابو العباس احمد التادلي المغربي، المصدر السابق، مناقب عائشة منوبية، ص 71.

<sup>38</sup> الولاية:

<sup>39</sup> مناقب عائشة المنوبية، ص11.

<sup>40</sup> نللي سلامة العامري، ص 142.

<sup>41</sup> تليلي سلامة العامري،

<sup>42</sup> نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص ص 352-353.

<sup>43</sup> مناقب عائشة المنوبية ص5.

<sup>44</sup> تليلي سلام العامري، ص 137.

<sup>45</sup> ابو العباس، المصدر السابق، ص88.

<sup>46</sup> نبيلة عبد الشكور، المرجع السابق، ص 352.